

نيسم جلال... بحثٌ عن الغيب بأنغام صوفية

نجوم وهن | باريس - العربي الجديد



28 إبريل 2019



تشبه نيسم جلال ببدرة سورية نبتت في فرنسا (فيسبوك)

الخط

تواصل الموسيقى السورية الفرنسية، نيسم جلال، سلسلة حفلاتها في باريس، والعديد من المدن الفرنسية الأخرى. إذ تعرف في هذه الحفلات مقطوعاتٍ من ألومها الأخير بشكل خاص، والذي حمل عنوان "البحث عن الغيب".

أرادت جلال لموسيقاها هذه المرة، أن تكون بعيدة عن السياسة، ومنحتها بُعداً روحانياً، وركزت فيها على التأمل، وتأثرت بالتيار الصوفي في الحضارة العربية والإسلامية. وقالت جلال في حديثٍ لـ"العربي الجديد": "كنت أرغب أن أصل بالموسيقى إلى حالة من فقدان الوعي بذاتي. لأكون على تواصل مباشر مع النور، إنها تجربة كنت أبحث عنها، وإن كنت لم أبلغها كلياً".

ولفتت جلال، إلى أنه على الرغم من رغبتها في عدم تناول أي موضوع سياسي في ألومها الأخير، إلا أن مجرد حملها لبعدٍ روحاني في مجتمع رأسمالي، كل ما فيه قائم على الملكية، هو أمرٌ يحمل معنىً سياسياً. وتقول نيسم إن الناي أصبح قطعة منها، وجزءاً من جسدها وأفاسها، وليس مجرد آلة منفصلة عنها. وعبرت عن ارتياحها إزاء الصدى الجيد الذي حققه ألومها الأخير المطروح في الأسواق، وكذلك تفاعل وسائل الإعلام الفرنسية معه، وردود أفعال الجمهور في حفلاتها.

ولدت نيسم جلال لأبوين سوريين في فرنسا، يمتدنان الفن التشكيلي، ويمشقان الموسيقى. وبحسب قولها، فإنها شجماها على تعلم العزف. وبمحض الصدفة ذكرت آلة الفلوت، فسارعت إلى تسجيلها في مدرسة الموسيقى بعمر ست سنوات. ووجدت نفسها أمام معلمة العزف على الفلوت، لتكتشف أنها آلة جميلة براقية وجذابة. واليوم مضى على علاقتها مع هذه الآلة حوالي 28 سنة. تقول جلال: "تأثرت كثيراً بالفن التشكيلي الذي كان يتقنه كلٌ من أبي وأمي. وبالتحديد الألوان والضوء التي تشرتها موسيقاي، فالرسم والعزف هما من الفنون التي لا تستخدم الكلمات، ولها علاقة قوية مع روح صاحبها". عاشت الشابة نيسم هواجس تتعلق بالهوية والاختلاف، ونوع الصورة النمطية التي يحملها بعض الفرنسيين عن العرب. وتشبه نفسها بالبدرة التي جاءت من سورية ونبتت في فرنسا. إلا أن المجتمعات لا تتعامل مع الاختلاف بتلك البساطة، لذلك قررت اكتشاف جذورها، والسفر إلى سورية، وتعلم اللغة العربية، ودخلت المعهد العالي للموسيقى في دمشق. وبعدها انتقلت إلى مصر لتعيش فيها 3 سنوات، حيث تلمعت الموسيقى الشرقية مع فنانين مثل فتحى سلامة وعبدو داغر.

حملة لإعادة نواحير أعالي فرات العراق إلى الحياة

تؤكد جلال أن شخصيتها هي عبارة عن مزيج من الثقافة الفرنسية والعربية ببلدانها المختلفة. وكل ذلك أثر على إنتاجها من الموسيقى، فقد تربت على سماع الموسيقى العربية الكلاسيكية. كما كانت تسمع الكثير من الموسيقى الأفريقية عن طريق الأصدقاء الذين يعيشون في فرنسا، وخاصة من مالي والسنگال. وتقول: "موسيقى كل شعب ترادف لغته. عندما تتعلم لغة جديدة تصبح لديك مفردات وقاموس جديد، وستجد نفسك تعبر عن المشاعر بطريقة مختلفة في كل ثقافة، قد تختار كلمة من هذه اللغة وأخرى من تلك، وأنا كذلك عندما أعزف".

تعتبر جلال أنها اكتشفت هويتها العربية خلال عيشها في مصر، لكن شعوراً قوياً بالانتماء إلى سورية، تفجّر بداخلها عندما بدأت الثورة فيها، تقول في ذلك: "عندما نزل الشعب إلى الشوارع مطالباً بالحرية، أحسست بشعور عميق بالفخر والرغبة في أن أكون جزءاً منه". الثورات العربية شغلت جلال واستحوذت على اهتمامها وموسيقاها، فأطلقت أول ألوم لها تحت عنوان "أسلوب حياتي"، وآخر "الموت ولا المذلة"، وألفت مقطوعة "أم الشهيد".

